ISLAMIC SCIENCES JOURNAL (2026) Vol (17) Issue (3) section (2) : 160-189
DOI: https://doi.org/10.25130/jis.26.17.3.2.9

IRAQI Academic Scientific Journals
العراقية للبحوث الأكاديمية العلمية
ISSN:2073-1159 (Print) E-ISSN: 2663-8800 (Online)
ISLAMIC SCIENCES JOURNAL
Journal Homepage: http://jis.tu.edu.iq
ISJ
Islamic Sciences

Methodological insights of Sheikh Fadl Hassan Abbas on the sciences of the Qur'an in his book (Itqan Al-Burhan in the Sciences of the Qur'an)

Asst. Prof. Dr. Hussam Muhammad Jumaa [1]
a) Department of Fundamentals of Religion, Samarra, Imam Al-Azam University College, IRAQ.

KEY WORDS:
Illuminations,
Methodology,
Itqan al-Burhan,
Fadl Abbas,
Quranic Sciences.

ARTICLE HISTORY:

Received: 28/2/ 2026

Accepted: 5/4/2026

Available online: 8/4/ 2026

©2022 COLLEGE OF ISLAMIC SCIENCES ISLAMIC SCIENCES JOURNAL , TIKRIT UNIVERSITY. THIS IS AN OPEN ACCESS ARTICLE UNDER THE CC BY LICENSE http://creativecommons.org/licenses/by/4.0/

ABSTRACT

One of the most important tools that helps in understanding the Qur'anic text is the science called Qur'anic Sciences, which contains a number of sciences related to the Qur'an and its verses. This science arose with the revelation of the Qur'an, and then the classification and organization of it developed with the movement of authorship that was active during the Islamic Renaissance in its early ages.

Contemporary scholars have made a clear contribution to the sciences of the Qur'an. Hence, we find that the writings of later scholars included many benefits and additions that cannot be denied in this science. Among the most important of the later scholars is Sheikh Fadl Abbas, may God have mercy on him, the author of useful writings, valuable observations, and unique investigations.

His book, "Itqan al-Burhan fi Ulum al-Qur'an" (Mastering the Proof in the Sciences of the Qur'an), represents the pinnacle of scholarship in the sciences of the Holy Qur'an. This book is replete with numerous investigations and additions that have enriched the sciences of the Qur'an and its branches.

[1]– *Corresponding author:* **alsamrae28@gmail.com**

ISLAMIC SCIENCES JOURNAL (ISJ ISLAMIC SCIENCES JOURNAL (ISJ)

الإضاءات المنهجية للشيخ فضل حسن عباس في علوم القرآن في كتابه (إتقان البرهان في علوم القرآن)

أ.م.د. حسام محمد جمعه [a]

a) قسم أصول الدين سامراء , كلية الإمام الأعظم الجامعة, العراق.

الخلاصة:

إن من أهم الأدوات التي تعين على فهم النص القرآني العلم المسمّى بـ علوم القرآن الكريم، والذي حوى جملةً من العلوم التي تتعلق بالقرآن الكريم وآياته ، نشأ هذا العلم مع نزول القرآن الكريم، ثم تطوّر التصنيف والتبويب فيه مع حركة التأليف التي نشطت إبان النهضة الإسلامية في عصورها الأولى.

لقد كان للمعاصرين من أهل العلم إسهاماً واضحاً في علوم القرآن، ومن هنا نجد أن مؤلفات المتأخرين من العلماء اشتملت على فوائد كثيرة وإضافتها التي لا تُنكر في هذا العلم، ومن أهم العلماء المتأخرين الشيخ فضل عباس رحمه الله، صاحب المؤلفات المفيدة والملاحظات القيّمة التحقيقات الفريدة.

ولقد شكّل كتابه (إتقان البرهان في علوم القرآن) ذروة ما وصل إليه التأليف في علوم القرآن الكريم، فجاء هذا الكتاب حافلاً بكثيرٍ من التحقيقات والإضافات التي أَثْرَتْ علوم القرآن وفروعه، ولقد حاولت في هذا البحث أن أسلّط الأضواء على الإضاءات المنهجية الخاصة بالشيخ فضل عباس ضمن هذين المحورين، وأبيّن الإضافات التي أضافها والترجيحات التي ذهب إليها، الأمر الذي يعننا على تكوين صورة متكاملة عن المنهج الذي اتبعه الشيخ فضل عباس في دراسته لعلوم القرآن الكريم.

الكلمات المفتاحية : اضاءات، منهجية، إتقان البرهان، فضل عباس، علوم القرآن.

المقدمة

احمد الله رافع السماوات والأرضين واصلي واسلم على سيدنا محمد الصادق الوعد الأمين، وإخوانه من الأنبياء والمرسلين، وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

لقد مثّل القرآن الكريم معيناً لا ينضب من التشريعات والأخلاق والأحكام، ولا يوجد مفكّر ولا عالم إلا استمتع بالخوض في بحر القرآن الكريم وعلومه الجليلة، فاستنبط منه وأفاد من أحكامه وأفكاره ودلالاته، وتذوّق حلاوة تشريعاته وبلاغة تعبيراته.

ولقد هيّأ الله سبحانه وتعالى لهذا الكتاب الكريم علوماً وأعلاماً كثر، فكان لهذه العلوم دوراً مهماً في بيان المعاني القرآنية وإيضاح المرامي واستنباط الدلالات وفهم الأحكام، وهو ما اصطلح عليه العلماء بـ (علوم القرآن الكريم)، وكان لهؤلاء الأعلام جهوداً عظيمة في استخدام هذه العلوم بغية إظهار ما يحويه القرآن من فهوم ومعارف واستنباط القواعد العامة لفنونٍ متعددة، كل ذلك كان يدور في فلك الحفظ الإلهي للقرآن الكريم الذي تعهّد الله تعالى به.

ولقد كان لعناية العلماء قديماً بعلوم القرآن الكريم دورٌ لافت في شتّى العصور في وضع الأُطر العامة التي يمكن أن يُفهم النص القرآني من خلالها، من حيثيات كثيرة، كقراءته وأسباب نزول آياته، ومكيّه ومدنيّه، وغيرها من المحاور التي تشكّل مفاتيح مهمّة لفهم النصوص القرآنية.

أما في العصر الحديث فإن العلماء لم يألوا جهداً في خدمة علوم القرآن، بل إن بعضهم أتى ببدائع جديدة مفيدة لم يُسبق إليها في هذا العلم، فمن هنا شكّلت كتابات العلماء المعاصرين ركناً وثيقاً للدارسين لا يقل أهميّةً عن كتابات العلماء القدماء، بل ربما تزيد الحاجة إلى الكتابات المعاصرة عند الدارسين أكثر من الكتابات القديمة؛ إذ حوت المؤلفات المعاصرة في علوم القرآن أبواباً وإضافات وردود على شبهات كثيرة خلت عنها الكتابات القديمة. ولقد كان الشيخ فضل عباس أحد هؤلاء العلماء المعاصرين الذين خاضوا في تفسير القرآن علومه، فأبدع فيها إبداعاً لا يُنكره القارئ، وجاءت مؤلفاته مستوعبةً المباحث القديمة في إليها دُرَراً وإضافات وإفادات جديدة.

أولاً: أهمية الموضوع وسبب اختياره:

يُعدّ كتاب (إتقان البرهان في علوم القرآن) من أهم ما ألّف الشيخ فضل عباس رحمه الله، فقد دأب الشيخ في هذا الكتاب على أن يضع رؤية جديدة معاصرة لعلوم القرآن الكريم، بحيث تتجاوز الخلافات القديمة في فروعه، وتحل عامّة الإشكالات العلمية التي تتعلق بفروعه، وتتولى مناقشة الشبه وردّها.

ولعل ما تميّز به هذا الكتاب من منهج وأفكار رصينة يؤهله لأن يحوز رتبة أفضل ما ألفه الشيخ فضل عباس رحمه الله تعالى، من هنا أردت أن أتناول هذا الكتاب بالبحث والدراسة الأكاديمية، ونظراً لكثرة الفوائد المودعة في هذا الكتاب فقد رأيت أن أقتصر في هذا البحث على محورين منه هما (أسباب النزول، والمكي والمدني) مستقرئاً إياها، مستخرجاً الفوائد والإضافات التي ذكرها الشيخ فضل عباس رحمه الله.

ثانياً: الدراسات السابقة:

وجدت بعض الدراسات السابقة حول الشيخ فضل عباس ومنهجه في علوم القرآن، من أهمها:

1- (منهجُ الدُّكتور فضل عبَّاس في دراسته لمسائل علوم القرآن الكريم) دراسة تحليلية نقدية"، وهي رسالةُ ماجستير من إعدادِ دُعاء أمين محمد النَّاطور، وإشرافِ الدكتور سليمان الدَّقور، وقد نُوقشت بتاريخ 31 / 12 /2013م.

2- (القصه القرآنيه عند الشيخ فضل عباس) دراسة تحليلية مقارنه"، وهي أطروحة دكتوراه مقدمة في جامعة العلوم الإسلامية العالمية، الأردن، من اعداد: أفنان محمد عدنان شريف الشيخ، وإشراف: الدكتور احمد سليمان البشايره، وتمت المناقشه في عمَّان بتاريخ: 19 / 01 /2015م، وهذه الأطروحة تَتعلَّق بأحدِ المواضيعِ المهمَّة في علومِ القرآن.

وواضح أن الدراسة الثانية تتناول كتاباً آخر للشيخ فضل عباس وهو غير الكتاب الذي سندرسه في هذا البحث، أما الدراسة الأولى فهي وإن اشتملت على الكلام عن عموم محاور علوم القرآن إلا أنها لم تستوعب الإضاءات والإضافات التي ذكرها الشيخ فضل في بابَي (أسباب النزول) و(المكي والمدني)، ولم تحلل الملاحظات الخاصة بالشيخ فضل، وهذا ما سوف تتميز به هذه الدراسة عن الدراسات السابقة.

ثالثاً: المشكلة العلمية:

تتمثل المشكلة العلمية لهذا البحث في التساؤلات التالية:

ما هو المنهج العلمي الذي سار عليه الشيخ فضل عباس في دراسته لعلوم القرآن الكريم؟

ما هي المحاور التي درسها الشيخ فضل عباس في كتابه (إتقان البرهان في علوم القرآن)؟

ما هي الإضافات والترجيحات التي ذكرها الشيخ فضل عباس في محوري (أسباب النزول، والمكي والمدني) ضمن كتابه (إتقان البرهان في علوم القرآن)؟

رابعاً: منهج البحث:

اعتمد الباحث في هذا البحث منهجا استقرائيا تحليليا :

أما المنهج الاستقرائي فمن خلال تتبع المعلومات المنثورة في كتاب (إتقان البرهان في علوم القرآن) والمتعلقة بالمحورين سالفي الذكر، وأما المنهج التحليلي فبتحليل هذه المعلومات وتصنيفها، واستنباط الإضافات والترجيحات الخاصة بالشيخ فضل عباس رحمه الله.

خامساً: خطة البحث:

جاءت خطة البحث مرتبة على النحو الآتي:

التمهيد: (التعريف بالشيخ فضل عباس ومؤلفاته)

المبحث الأول: أسباب النزول.

المبحث الثاني: المكي والمدني

الخاتمة والنتائج

التمهيد:

(التعريف بالشيخ فضل حسن عباس ومؤلفاته)

خير ما نبدأ به بحثنا هذا هو التعريف بالشيخ (فضل حسن عباس) رحمه الله تعالى، وأن نلقي بعض الأضواء على مؤلفاته وجهوده التي ورّثها للمكتبة الإسلامية، ثم نستعرض مقدّمات عامة عن مؤلّفه الموسوم بـ (إتقان البرهان في علوم القرآن).

أولاً: حياة الشيخ فضل حسن عباس ونشأته:

هو العّلامة المفسر، الأستاذ الدكتور أبو محمد فضل حسن بن أحمد بن آل عباس، أحد أهم العلماء المشهود لهم في علم التفسير واللغه والبلاغه، وُلد في بلد (صفّورية) في فلسطين الحرة، من قرى قضاء الناصره، ورد ذكرها في المعجم (صفّوريه: بفتح أوله وتشديد ثانية واوه، وراء مهمله ثم ياء مخففه، كوره وبلده من ناحية الأردن بالشام وهي قرب طبريه)[1].

وقد بدت حياة الشيخ فضل على حب العلم منذ صغره، فقد كان بيت الوالد مرتعا للعلماء من كل مكان يرسلهم خاله الشيخ يوسف عبد الرزاق المدرس بكلية أصول الدين في الأزهر، ويأتوه في بيت والد الشيخ فضل في فلسطين، والشيخ يجلس يسمع ويحفظ من الشعر والنثر والمسائل العلمية ما قدر له أن يحفظ، فحفظ القرآن عن ظهر قلب، في واحد وخمسين يوما وهو ابن عشر سنين، ثم حفظ متن الغاية

[1] معجم البلدان، ياقوت بن عبد الله الحموي، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، ط1، 1997م، 194/3.

والتقريب في الفقه الشافعي، ومتن الرحبية في الفرائض، ومتن جوهرة التوحيد في العقائد، والألفية للأبن مالك.

ثم انتقل إلى الدراسة في عكا، فدرس في الأحمدية بجامع الجزار، وبقي فيها عامين (1946-1947م)، ثم بعد ذلك قرر الدراسة في مصر عام (1948م)، فدخل مرحلة الثانوية فيها، ونجح في الدخول الى كلية أصول الدين في الأزهر؛ فأكمل وتخرج منها سنة (1952م)، وكان عمره آنذاك عشرين سنة، فعرف بأصغر طالب يتخرج منها على الإطلاق.[1]

سكن الشيخ فضل في مصر إلى سنة (1953) م، وعند ورود خبر وفاة والده وقد توفي في لبنان رحل إليها وهناك وجد عملا في اوقاف صيدا ، فعمل فيها حتى سنة (1956) م، واشتغل بعد تلك الفترة مع المفتي محمد أمين الحسيني حتى سنة (1965) م، ومن ثم ارتحل إلى الأردن ليشتغل واعظ في عمان سنة (1965) م، ومن ثم عيُن مدرساً في كلية الشريعة سنة (1966) م؛ حيث أُسند اليه تدريس علوم التفسير، واللغة العربية والحديث، والتوحيد، ، وتلاوة القرآن الكريم، وبقي في كلية الشريعة إلى سنة (1971) م، وخلال مدة تدريسه حصل على درجة الماستر من الأزهر الشريف في سنة (1967) م.

وحصل على شهادة الدكتوراه من الأزهر الشريف؛ سنة (1972) م بعنوان (اتجاهات التفسير في مصر والشام)، ثم بعد ذلك انتقل الشيخ فضل رحمه الله إلى الإمارات العربية ليعمل في نفس عمله ما بين عامي (1975-1978) م، وعاد بعد ذلك الى كلية الشريعة في الجامعة الأردنية حيث شغل منصب رئيس قسم أصول الدين لفترة ليست بالقصيرة، وايضا عمل في التدريس في جامعة اليرموك من عام (2002- 2007) م، وبعدها انتقل إلى جامعة العلوم الإسلامية العالمية من سنة 2008م، ليواصل طريق تبليغ العلم وتخريج اجيال الطلاب ، وبقي في الأردن يُلقي الدروس المختلفة في بيته وفي الإذاعات لحين وفاته في (9 شباط سنة 2011م)، وذلك حينما جلس في مقعد سيارة ابنه قاصداً بيت الله الحرام، فوافته المنية عن عمر ناهز تسعة وسبعين عاماً.[2]

ثانياً: مؤلفاته وتراثه العلمي:

1- كان الشيخ فضل عباس من العلماء الذين شّرفهم الله برفعة العلم، فهو امام في التفسير واللغة والفقه، والمنطق والبلاغة ، حُرم نعمة البصر، ولكنّ الملك الوهاب عوضه بنفاذ البصيرة، وعمق التفكير، وقوة الذهن والملاحظة ، لقد ترك لنا الشيخ العلامة مؤلفات كثيرة مفيدة، انتشرت بين طلاب العلم لها مكانتها فقد بلغت مصنفاته مبلغاً ، بين العباد، وغدا أهل العلم شيوخاً وطلبة وكتابا

---

[1] ينظر: لآلئ مضيئة من حياة العلامة فضل حسن عباس، محمد بن يوسف الجوراني العسقلاني، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، عمّان، ط1، 2013م، ص9.

[2] ينظر: لآلئ مضيئة من حياة العلامة فضل حسن عباس محمد بن يوسف الجوراني العسقلاني، ، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، عمّان، ط1، 2013م ، ص10، ودراسات إسلامية وعربية مهداة للعلامة الدكتور فضل حسن عباس، جمال أبو حسان، دار الرازي، عمّان، ط1، 2003م، ص5.

يأخذون من معينها .فقد بلغ عددها اكثر من عشرين مؤلفا وهذا المؤلف منها و قصصِ القرآنِ الكريمِ إيحاؤهُ ونفحاتهُ. و قصصِ القرآنِ الكريمِ، صدقُ حدثٍ وسمو هدفٍ، إرهافُ حسٍ وتهذيبُ نفسٍ .و التفسيرُ المنهجي للقرآنِ الكريمِ. و التفسيرُ أساسياتهُ، واتجاهاتهُ المفسرونَ مناهجهمْ، ومدارسهمْ. والبلاغةُ فنونهاَ وأفنانهاَ.

ولا يفوتنا أن نشير إلى أبحاثه العلمية المحكمة التي قاربت عشرين بحثاً نشرها في المجلات العلمية.

ومن المفيد هنا أن نذكر أن رجلاً بهذا الثراء المعرفي والمقدرات العلمية لا بد أن يشهد له بذلك كبار أهل العلم وأساطين المعرفة ممن عرفه وعرف مقداره، ولهذا أنقل بعض أقوال العلماء فيه:

1- قال الشيخ نور الدين عتر بعد أن مدح كتب الشيخ فضل عباس: "بعد هذه الجولاتِ الماتعه في حدائق أنيقه من حدائقِ الشيخِ الدكتور فضل عباس حفظه الله، وامتع المسلمينَ بطولِ بقائهِ، واستمرارِ علمه، نخلص إلى أننا أمامَ علمٍ شامخٍ من أعلامِ العلمِ، وطودٍ عظيمٍ من فضلاءِ التحقيق".[1]

2- وقال الشيخ الدكتور جمال أبو حسان اطال الله بقائه : "وإذا كان شيخنا العلامةُ قد حُرم نعمة البصرِ فإن الله تعالى قد أكرمهُ بصفاءِ النفسِ، ونورِ البصيره؛ ولذلك فهو ذو قريحه وقاده، وذهن ثاقبُ يحدثك بالشيءِ الذي مضى عليه دهرً طويلً وكأنه يراهُ الآن".[2]

3- وقال الدكتور محمد المجالي في مقال وترجل الفارس: "ولا يغيب عن بالي أنه من مؤسسي جمعية المحافظه على القرآن الكريم؛ الجمعيه التي امتد خيرها في ربوع الأردن كله... ولعل خير هذه الجمعيه يرجع إلى مؤسسيها، ومنهم شيخنا الفاضل".[3]

ثالثاً: حول كتاب (إتقان البرهان في علوم القرآن):

اسم الكتاب: سمَّى الدكتور فضل حسن عباس كتابه (إتقان البرهان في علوم القرآن) محبّةً بالعلماء واعترافاً بجهودهم؛ فقد جمعَ في العنوانِ اسمَ كتابين هما عُمدة في علومِ القُرآنِ، قال رحمه الله: (سميَّتُه "إتقانُ البرهانِ في علومِ القرآنِ) وفاءً لمؤلفَي كتاب "البرهان في علوم القرآن " للإمام الزركشي رحمه الله و"الإتقان في علوم القرآن للأمام جلال الدين السيوطي رحمه الله"[4]، ورغم أن الكتابَ اختلفَ في طبعته الثَّانية إلا أن الشيخ لم يغير عنوانَهُ، وما هذا إلا دليلٌ على أنَّ هذا العنوانَ مقصودٌ لذاته.

مؤلِّف الكتاب: الدكتور فضل هو المصدَرُ الرَّئيسي لتَأليفِ هذا الكتاب لكنَّه ليس الوحيد، فقد شاركتهُ كريمَتهُ الدكتورة سَنَاء فيه وفي بَعضِ مؤلفاته، وتولّت أمرَ التدقيق والمراجعة، كما سجَّل شكره

---

[1] ينظر: دراسات إسلامية وعربية مهداة للدكتور فضل عباس، جمال أبو حسان، ص78.

[2] ينظر: المصدر نفسه، ص 11.

[3] وترجل الفارس، محمد خازر المجالي، مجلة الفرقان، عدد 109، ص33.

[4] إتقان البرهان في علوم القرآن، فضل حسن عباس، دار النفائس، عمّان، ط2، 2011م، 13/1.

وتقديرهُ في الفصلِ السادسِ للشيخين محمد رضا الحُوري ومنصور أبي زينة من طلاب الدراسات العليا لما بذلوه من جهد في فصل (لغة القرآن)[1].

كما أشار إلى أنَّ الدكتور جمال أبو حسان جمع كثيراً من الروايات التي تتعلق بالقرآن الكريم، ودرسَ أسانيدها وأثبت عدم صحتها، يقول رحمه الله: "فقد كفانا الدكتور جمال ابو حسان – مشكوراً – هذه الجهة من الدراسة".[2]

فصول الكتاب وتقسيماته:

فصّل الكتاب إلى ثمان وعشرين فصلاً، كانت حصَّةُ كلِّ جزءٍ أربعةَ عشرَ فَصلاً، مع اختلافٍ في حجمِ الفُصولِ ولا سميا في الجزء الثاني، وأمَّا عددُ صفحاتِه فهي (948) في جزأين الأوَّلُ (501) صفحة، والثاني (448) صفحة.، تدورُ أبحاثهُ حولَ علومٍ اختارَها تُناسبُ العصرَ ولا تنفي جهود السَّابقين، كما أفرد كلّ علمٍ بفصل مستقل، أما بقيةُ الفصولِ فهيَ على الأغلبِ لها علاقةٌ بعلومِ القرآنِ أو تكونُ تابعةً لفصلٍ ومتممةً لأهدافهِ، كالفصولُ الثَّلاثةُ الأخيرةُ التي خُصِّصت لأنماطِ الشُّبهات.

طبعتا الكتاب: أعادَ الشيخ طباعة الكتاب على أمل أن تكون أوفى، فزاد فصولاً وزاد في فصول منه، وقد ذكرَ بعض الفروق بين الطَّبعتين بقوله: "أجزم بأنَّ هذا الكتاب في طبعته الثانية يكاد يكون صوره مختلفه اختلافاً تاماً عمَّا كانَ عليهِ في الطبعه الأولى، سواء أكان ذلك من حيث الشكل والمظهر أم من حيث المضمون والأسلوب".[3]

فالفرقُ من ناحيتين:

الشكل: فهو في الهيكلِ من حيث الجودة والأناقة والمظهر وقلَّةَ الأخطاء[4]، وكانت الطبعة الأولى في (دار الفُرقَانِ)، والثانية في (دارِ النَّفائسِ) وكلاهما في الأردن.

المضمون: فكان زيادة فصول كاملة وإضافات في فصول كما تقدّم، أما زيادةُ الفصولِ فكانت إضافاتٍ إلى التَّمهيد ليصير فصلاً مستقلاً بعنوان (جهودُ العلماءِ في علومِ القرآن)، كما أضاف فصل (لغةُ القرآن الكريم)؛ وقد صرَّحَ في مَطلعِه أنَّ "هذا الفصلَ خلتْ منه الطَّبعة الأولى"[5]، أما الفصول الباقية فقد ذكرَ في الخاتمة أنَّها تتعلق بأساليب القرآن[6]، والفصول التي تتعلق بأساليب القرآن هي: الوجوه والنَّظائر، ومشكل القرآن، وعِلمُ المناسبات.

---

[1] المصدر نفسه ، 144/1.

[2] إتقان البرهان في علوم القرآن، فضل حسن عباس ، 319/2.

[3] المصدر نفسه ،10/1.

[4] المصدر نفسه ، 10/1.

[5] المصدر نفسه ، 144/1.

[6] المصدر نفسه ، 429/1.

المبحث الأول:

أسباب النزول.

علم أسباب النزول من أهم علوم القرآن الكريم، ولقد نشأ هذا العلم في أيام الصحابة الكرام رضوان الله عليهم أجمعين، فقد اهتّم الصحابة ببيان أسباب النزول والحوادث والقرائن التي احتفّ نزول القرآن الكريم بها، ومن هنا فإنه يمكننا القول إن مؤسس هذا العلم هم صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولقد تتابعت كتب علوم القرآن الكريم على إيراد هذا العلم والكلام حوله، ولعل عامّة مَن ذكر هذا العلم تحدّث عن ضوابط الرواية وآليات قبولها؛ وذلك تبعاً لكون الرواية هي الركن الوحيد الذي يُلجأ إليه لمعرفة أسباب النزول.

أما الشيخ فضل عبّاس فقد كان له رؤية في علم أسباب النزول، ورؤيته هذه تشتمل على ما ذكره الأولون من ضوابط وآليات علمية معتمدة في أسباب النزول وتزيد على ذلك بملاحظات قيّمة وإضافات جليلة في هذا الباب، وهذا ما سنعرض له في هذا المبحث إن شاء الله.

المطلب الأول: ضوابط مبدئية في أسباب النزول وتعريفه:

تؤكد مصنفات علوم القرآن أهمية علم أسباب النزول، وضرورة أن يُلمّ به المفسر، إذ يشكّل هذا العلم مفتاحاً مهماً في فهم النص القرآني، ومعرفة القرائن التاريخية والتشريعية التي نزل النص بسببها.

أولاً: المعطيات التي توضح أهمية أسباب النزول:

أما الشيخ فضل عباس فهو يرى أن خطورة هذا العلم وأهميته تنبعان من زوايا أخرى تختلف عن الزاوية التي أشار إليها المختصون في علوم القرآن، إذ يرى الشيخ فضل عباس أن هذا العلم هو أهم مباحث علوم القرآن ؛ لأن هذا المبحث قد كان فيه من الشوائب والشبهات التي حاول الكثير من الخصوم قديماً وحديثاً أن يصوّبوا منها إلى نحر الشريعة سموم سهامهم.[1]

ويرى الشيخ فضل عبّاس أن أهم الثغرات في أسباب النزول التي حاول المستغلّون الدخول منها إلى الطعن في الشريعة هي:

1- عدم توثيق الأسانيد، أي عدم تمحيص الروايات التي تنصّ على أسباب النزول.
2- الانعدام لدراسة النقدية في هذه الروايات غالباً، فدراسة اسباب النزول بحاجة كبيرة إلى التحقيق روايةً ودراية.
3- إهمال السياق في الآيات عند ذكر سبب النزول.

[1] إتقان البرهان في علوم القرآن، فضل حسن عباس ، 241/1.

4- المبالغة في بحث أسباب نزول لآيات لا تحتاج إلى سبب نزول لأنها من الأمور العامة.[1]

ونحن نؤيد الشيخ فضل عباس رحمه الله في إيضاحه لضرورة هذا المبحث من علوم القرآن، إلا أن الملاحظ في هذه المعطيات أن الأولى والثانية متحدتان في المعنى والثانية تكفي عن الأولى.

ويزيد الشيخ رحمه الله تعالى على هذه المعطيات خامساً يوضح أيضاً أهمية هذا المبحث وضرورة دراسته، فيرى أن خطورة هذا المبحث وضرورة دراسته لا تكمن فيما كتبه الأقدمون فحسب، بل فيما عرض إليه المحدثون من العلمانيين ودعاة الحداثة أيضاً.[2]

ولعل ما أشار إليه الشيخ في هذه الفقرة يُعدّ المعطى الأهم الذي يوجب دراسة أسباب النزول دراسةً علمية تمحيصية نقدية، تتبنى ما صحّ وتستبعد ما لم يصح، إذ باب الولوج إلى الطعن في الروايات كبير إذا لم يتصدّ لذلك أهل العلم من المختصين.

ثانياً: الضوابط الأولية المستنبطة من قراءة الشيخ فضل لكتب أسباب النزول:

ذكر الشيخ فضل عباس أنه استقرأ كتب ثلاثةٍ من العلماء الذين ألّفوا في أسباب النزول، وهم (الواحدي المتوفى 468هـ) وكتابه (أسباب النزول)، و(ابن حجر العسقلاني المتوفى 852هـ) وكتابه (العجاب في بيان الأسباب)، و(جلال الدين السيوطي المتوفى 911هـ) وكتابه (لباب النقول في أسباب النزول).

وبعد قراءته لهذه الكتب الثلاثة استنبط الأفكار التالية:

1- إن عبارة أسباب نزول لم تكن جلية في عهد الصحاب النبي عليه الصلاة والسلام والتابعين لهم رضي الله عنهم ، فلم نجد من الروايات عن الصحابة قال فيها: "سبب نزول هذه الآية كذا...".

2- إن أسباب نزول آيات وسور المدنية كانت أكثر مما جاء للآيات والسور المكية.

3- إن جُلَّ الروايات في أسباب النزول نقلة عن ابن عباس رضي الله عنهما.

4- إن من بعض هذه الأحاديث كانت غير ثابتة رواية، أي غير صحيحة سنداً.

5- إن كثيراً من هذه روايات لا تصحّ درايةً؛ إما لأنها مخالفة لبعض أصول الدين وقواعده، وإما لأنها تتعارض مع السياق تعارضاً تاماً.

6- إن هناك من الروايات المشتهرة لا تصحّ، فيجب ردّها وعدم التسامح في روايتها والتنبيه عليها.

---

[1] المصدر نفسه ، 241/1.

[2] إتقان البرهان في علوم القرآن، فضل حسن عباس ، 251/1.

7- إن هناك من الروايات الصحيحة نازع فيها بعض من العلماء مع أنها لا تختلف مع اصول ولا مع سياق.[1]

ولعل هذه النتائج التي ذكرها الشيخ فضل عباس تختصر على القارئ مؤونة القراءة التحليلية لهذه الكتب، ويبقى على المطالع لهذه المؤلفات قراءة النماذج التي أوردها المؤلفون وربطها بالضوابط العلمية التي يذكرونها.

ثالثاً: تعريف أسباب النزول:

سبب النزول هو ما نزلت الآية أو الآيات متحدثة عنه مبينة لحكمه أيام وقوعه.[2]

ولقد ذكر الشيخ فضل عباس تعريفاً قريباً من هذا التعريف فقال: "ما نزلت الآية أو الآيات أيام وقوعه متضمنة له أو مبينة لحكمه".[3]

يلحظ في هذا التعريف الاتفاق في المضمون بين ما ذكره الشيخ فضل عباس وما ذكره غيره من العلماء، لكن الشيخ فضل يتوقف عند بيان هذا المعنى المقصود بالتعريف ويحرره.

فيرى أن قولنا "ما نزلت الآية أو الآيات أيام وقوعه" يفهم منه أن ما حدث من أسباب نزول هي ما كانت في عهد سيدنا محمد رسول الله ﷺ أما ما كانت قبل بعثة النبي ﷺ أو تلك التي ستكون بعد عهد النبوة فلا تُعدّ من أسباب النزول.[4]

ومعنى هذا أن أحداثاً كثيرة في القرآن الكريم قد ذُكرت لا داعي لأن نبحث لها عن أسباب نزول وأن نلتمس ذلك في الروايات، فلقد حدّث القرآن الكريم عن قصة أصحاب الفيل، وأصحاب الكهف، وأصحاب مدين، وأصحاب القرية التي جاءها المرسلون، وغيرها كثير من الأحداث، فهذه الأحداث وغيرها ذُكرت في القرآن الكريم، ولا نستطيع أن نسميها او نطلق عليها انها من أسباب النزول؛ لأنها كانت قبل عهد النبوة الكريمة .

وبناءً على ذلك فلا تستطيع أن تقول إن سبب نزول قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١﴾ [الفيل: 1] هو غزو أبرهة للكعبة، كما لا يمكن أن تقول إن قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُوا۟ مَا تَتْلُوا۟ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلْكِ سُلَيْمَٰنَ﴾ [البقرة: 102] سببه ما كان مفترا من اليهود على سيدنا سليمان في

---

[1] إتقان البرهان في علوم القرآن، فضل حسن عباس، 252/1-253.

[2] مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط3، د/ت، 106/1.

[3] إتقان البرهان في علوم القرآن، فضل حسن عباس، 253/1.

[4] المصدر نفسه، 253/1.

شأن ملكه، كما لا يُقال إن سبب نزول قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾﴾ [الكهف: 9] هو ما كان من الفتية الذين آمنوا بربهم وزادهم هدى.

ومن هنا فإن الضابط الذي يمكننا صياغته فيما يخص سبب النزول أن نقول: "هو ما كان وقت وقوع الحدث نابعاً من البيئة والزمان الذي وقع الحدث فيهما ".

ويتضح المعنى أكثر في الأمثلة التالية:

- اختلف المسلمون في المدينة المنورة في موقفهم من المنافقين، فنزل قوله تعالى: ﴿۞ فَمَا لَكُمْ فِى ٱلْمُنَٰفِقِينَ فِئَتَيْنِ وَٱللَّهُ أَرْكَسَهُم بِمَا كَسَبُوٓا۟﴾ [النساء: 88].
- أساء بعض المسلمين في صلاته وهو سكران قبل أن يُحرّم الخمر فنزل قوله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَقْرَبُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَأَنتُمْ سُكَٰرَىٰ حَتَّىٰ تَعْلَمُوا۟ مَا تَقُولُونَ﴾[النساء: 43].
- سأل بعض الصحابة رسول الله ﷺ عن الهلال ما باله يبدو صغيراً ثم يكبر ثم يصغر كما بدأ، فنزل: ﴿۞ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَهِلَّةِ ۖ قُلْ هِىَ مَوَٰقِيتُ لِلنَّاسِ وَٱلْحَجِّ﴾ [البقرة: 189].
- وكان ايضا بعض المؤمنين يستغفرون لموتاهم من المشركين، فنزل: ﴿مَا كَانَ لِلنَّبِىِّ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ أَن يَسْتَغْفِرُوا۟ لِلْمُشْرِكِينَ وَلَوْ كَانُوٓا۟ أُو۟لِى قُرْبَىٰ مِنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمْ أَنَّهُمْ أَصْحَٰبُ ٱلْجَحِيمِ ﴿١١٣﴾﴾[التوبة:113].

هذه الأحداث والمواقف التي أنزلت الآيات من أجلها تسمّى أسباب النزول، وعلى ذلك فإن سبب النزول ليس بالضرورة أن يكون سؤالاً مذكوراً في الآية، فقد يكون كذلك وقد لا يكون.[1]

أما قولهم في تعريف سبب النزول بأنه "متضمنه له أو مبينة لحكمه" فمعناه أن سبب النزول قد تكون الآية متضمنة له كالسؤال عن الأهلة وعن الفتية أصحاب الكهف، أو مبينة لحكمه كالسؤال عن الشهر الحرام والخمر والميسر، فسبب النزول قد يكون حكماً معيناً، وقد يكون حادثة ما.

[1] إتقان البرهان في علوم القرآن، فضل حسن عباس، 256/1.

المطلب الثاني: روايات أسباب النزول:

أولاً: طريق معرفة أسباب النزول:

يقول الإمام ابن دقيق العيد[1]: "معرفة أسباب النزول طريق قوي في معرفة معاني القرآن، وعلى هذا فوق الصحابي الذي شهد التنزيل في سبب النزول يوضع في الدرجة الأولى من القبول، لأن قوله يُعدّ حديثاً مسنداً له حكم المرفوع، قاله ابن الصلاح والحاكم وغيرهما في علوم الحديث".[2]

ولقد رأى أهل العلم أن الطريق الوحيد لمعرفة أسباب النزول هو النقل الصحيح، وبناءً عليه فلا يصح في أسباب النزول إلا ما كان مستنداً إلى الرواية والسماع ممن شاهدوا التنزيل ووقفوا على الأسباب.[3]

ولعل القاعدة المعروفة في هذا المجال هي الركيزة الأساس التي يستند إليها هذا المبدأ، وهي التي تقول إن قول الصحابي فيما لا مجال للاجتهاد فيه حكمه حكم المرفوع إلى النبي ﷺ، لأنه يبعد كل البعد أن يكون

الصحابي قد قال ذلك من تلقاء نفسه.[4]

ولقد ذهب الشيخ فضل عباس في هذه المسألة مذهب الجمهور الذين حصروا طرق معرفة أسباب النزول في الرواية فقط، لكنه زاد على هذا ببيان صيغ الرواية التي تُعتمد كأسباب نزول والصيغ التي لا يمكن أن تُعدّ كذلك.

فيرى الشيخ فضل أن ما ورد عن الصحابة الكرام جاءنا بصور متعددة، فقد يقول الصحابي: حدث كذا، أو حصل كذا، أو كان كذا فنزلت الآية، ومثله أن يقول الصحابي: فيَّ نزلت هذه الآية.

أما إذا قال الصحابي: معنى هذه الآية كذا، أو مراد الله من هذه الآية كذا، فإن مثل هذه العبارات لا تدلّ على أسباب النزول.

---

[1] هو محمد بن علي بن وهب أبو الفتح، تقيّ الدين القشيري، المعروف بابن دقيق العيد: قاض، من أكابر العلماء بالأصول، مجتهد وولي قضاء الديار المصرية واستمر الى أن توفي (بالقاهرة) سنة 702 هـ. له تصانيف، منها (إحكام الأحكام) و (الإلمام بأحاديث الأحكام.) ينظر : الأعلام ،لخير الدين بن محمود ، الزركلي الدمشقي الناشر: دار العلم للملايين ط5 مايو 2002 م 283/6.

[2] الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط1، 1426هـ، 88/1.

[3] ينظر: مناهل العرفان في علوم القرآن، محمد عبد العظيم الزرقاني، 114/1.

[4] ينظر: علوم القرآن، عبد الفتاح أبو سنة، دار الشروق، ط1، 1995م، ص79.

لكن التي تحتمل عبارة سبب النزول وغيره هي قول الصحابي: نزلت هذه الآية في كذا، فان ذلك يكون إما دالّاً على سبب النزول وإما يكون تفسيراً وتوضيحاً للآية الكريمة، ومن هنا حصل اللبس في كثيرٍ من هذه الأقوال، فعدّها بعض العلماء أسباباً للنزول وهي ليست كذلك.[1]

وقد يكون ذلك اللبس ناتجاً عن شيء آخر لكن فهم انها لسبب النزول وهو أن يكون هناك حدث تحدّث عنه بعض من الصحابة رضي الله عنهم قائلاً: شهدت كذا مع رسول الله ﷺ، أو سُئل رسول الله ﷺ عن كذا فنزلت هذه الآية، فيظن الناس أن هذه نزلت بسبب ذلك الحدث، أو إجابة عن ذلك السؤال، كما قد يكون معنى قول البعض: نزلت هذه الآية في فلان أنها تناولت فعله[2]، فهذه الصيغ كانت مثار اختلاف لتعيين أسباب النزول.

وفي هذا السياق ينبّه الشيخ فضل إلى أنه إذا قال الصحابي: حدث كذا فنزل كذا، فإن ذلك يُعدُّ من قبيل المرفوع إلى النبي ﷺ موافقاً بذلك رأي الجمهور من العلماء، أما إذا قال: هذه الآية نزلت في كذا، كقولهم: إن آية الظهار نزلت في امرأة أوس بن الصامت وإن آية اللعان نزلت في عويمر العجلاني أو هلال بن أمية وإن آية الكلالة نزلت في جابر بن عبد الله، فإن هذه الصيغ وأمثالها فيها خلاف بين العلماء، فالبخاري رحمه الله يعدّه من قبيل المرفوع، وغيره لا يعدّه كذلك.[3]

ثانياً: قول الصحابي: هذه الآية نزلت في كذا:

ذكر الشيخ فضل عباس أن العلماء قد اختلفوا في هذه العبارة، وهي قول الصحابي: "هذه الآية نزلت في كذا..."، هل يجري مجرى المسند من أسباب النزول فيُحكم له بالرفع، أم يجري مجرى التفسير الذي لا يحكم له بذلك؟

فالبخاري يعدّه في الأحاديث المسندة المرفوعة، أما غيره من أصحاب السنن والمسانيد فلا يعدّوه كذلك، ويستثنى من هذه القاعدة ما إذا ذُكر سبباً نزلت الآية عقبه، فإن جميع أصحاب المتون الحديثية يدخلونه في المسند.[4]

ومن هذا المنطلق فإن الشيخ فضل يرى أهمية الحيطة والتثبت والروية في الحكم على قول ما بأنه سبب نزول، فإن كثيراً مما عدّه العلماء أسباباً للنزول لا يصحّ أن يكون كذلك.[5]

---

[1] إتقان البرهان في علوم القرآن، فضل حسن عباس، 288/1.

[2] ينظر: تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار)، محمد رشيد رضا، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 1990م، 592/9.

[3] ينظر: إتقان البرهان في علوم القرآن، فضل حسن عباس، 289/1.

[4] ينظر: المصدر نفسه 290/1.

[5] ينظر: المصدر نفسه، 290/1

وقد عُرف عن الصحابة الكرام رضي الله عنهم أنهم كانوا يحتاطون في القول بأسباب النزول، فقد روى البخاري بسنده عن عروة، قال: خاصم الزبير رجلاً من الأنصار في شريج من الحرة، فقال النبي ﷺ: «اسق يا زبير، ثم أرسل الماء إلى جارك»، فقال الأنصاري: يا رسول الله، أن كان ابن عمتك، فتلون وجه رسول الله ﷺ، ثم قال: «اسق يا زبير، ثم احبس الماء حتى يرجع إلى الجدر، ثم أرسل الماء إلى جارك»، واستوعى النبي ﷺ للزبير حقه في صريح الحكم حين أحفظه الأنصاري، كان أشار عليهما بأمر لهما فيه سعة، قال الزبير: فما أحسب هذه الآيات إلا نزلت في ذلك: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ﴾.[1]

وهذا الحصر لسبب النزول من الزبير يدل على الحيطة والدقة التي كانت عند الصحابة الكرام رضي الله عنهم في القول بأسباب النزول.

ثالثاً: أمثلة عن أسباب النزول التي عدّها الشيخ فضل تفسيراً للآيات وليست أسباباً للنزول:

- عن قتادة قال: ذكر لنا أن رسول الله ﷺ سأل ربه أن يجعل ملك فارس والروم في أمته، فأنزل الله تعالى ﴿قُلِ اللَّهُمَّ مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ﴾ [آل عمران: 26].[2]
- روى البخاري بسنده عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه، قال: قال رسول الله ﷺ: «من حلف يمين صبر ليقتطع بها مال امرئ مسلم، لقي الله وهو عليه غضبان» فأنزل الله تصديق ذلك: ﴿إِنَّ الَّذِينَ يَشْتَرُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَأَيْمَانِهِمْ ثَمَنًا قَلِيلًا أُولَٰئِكَ لَا خَلَاقَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ وَلَا يُكَلِّمُهُمُ اللَّهُ وَلَا يَنظُرُ إِلَيْهِمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا يُزَكِّيهِمْ وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٧﴾﴾ [آل عمران: 77]، قال: فدخل الأشعث بن قيس، وقال: ما يحدثكم أبو عبد الرحمن؟ قلنا: كذا وكذا، قال: في أنزلت كانت لي بئر في أرض ابن عم لي، قال النبي ﷺ: «بينتك أو يمينه» فقلت: إذا يحلف يا رسول الله، فقال النبي ﷺ: «من حلف على يمين صبر، يقتطع بها مال امرئ مسلم، وهو فيها فاجر، لقي الله وهو عليه غضبان».[3]
- عن حصين عن زيد بن وهب قال: مررت بالربذة فإذا أنا بأبي ذر فقلت له: ما أنزلك منزلك هذا؟ قال: كنت بالشام فاختلفت أنا ومعاوية في هذه الآية: ﴿وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلَا

---

[1] أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب {فلا وربك لا يؤمنون حتى يحكموك فيما شجر بينهم}، 46/6، رقم (4585).

[2] أسباب نزول القرآن الكريم، علي بن أحمد الواحدي، دار الإصلاح بالدمام، ط2، 1992م، ص100، وينظر: إتقان البرهان في علوم القرآن، فضل حسن عباس، 292/1.

[3] أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن، باب {إن الذين يشترون بعهد الله وأيمانهم ثمنا قليلا، أولئك لا خلاق لهم}، 34/6، رقم (4549)، وينظر: إتقان البرهان في علوم القرآن، فضل حسن عباس، 292/1.

يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ فقال معاوية: نزلت في أهل الكتاب، فقلت: نزلت فينا وفيهم، وكان بيني وبينه كلام في ذلك، وكتب إلى عثمان يشكو مني، وكتب إلي عثمان أن أقدم المدينة فقدمتها، وكثر الناس علي حتى كأنهم لم يروني قبل ذلك، فذكرت ذلك لعثمان فقال: إن شئت تنحيت وكنت قريباً، فذلك الذي أنزلني هذا المنزل ولو أمَّروا علي حبشياً لسمعت وأطعت".[1]

فهذه الآثار التي أوردها وقليلٌ غيرها عدّها الشيخ فضل عباس رحمه الله من قبيل تفسير الآيات، ولم يُصنّفها كأسباب نزول، مع أن عموم الدارسين في علوم القرآن صنّفوها كأسباب نزول للآيات.

المطلب الثالث: دعائم القبول لأسباب النزول:

ذكر الشيخ فضل عباس رحمه الله ضوابط علمية من شأنها أن تدعم الرواية التي تنص على سبب النزول، وهذه الرؤية خاصة بالشيخ فضل عباس، وهي من محض اجتهاده، لذا فقد قال في مقدمة السرد لهذه الدعائم: "هذا مبحث أرجو أن يكون كثير الفوائد جم المنافع متعدد الثمرات جيد التحقيق، فلا تعجبوا – أرشدكم الله – إن وجدتم فيه ما لا يوافق ما ألفتموه، ويتعارض مع ما عرفتموه، بادي بدء أرجو أن أبين لكم أني لست من الذين تستهويهم مخالفة العلماء، فأنا أغترف من بحورهم، لكننا أخذنا من مشايخنا أن من إجلال العلماء إحقاق الحق..."[2]

أولاً: دعائم القبول:

ذكر الشيخ فضل عباس رحمه الله ثلاث دعائم لقبول الرواية التي تنصّ على سبب النزول، وهي كالآتي:

1- الرواية الصحيحة: وهذه الدعامة إذا عُدمت وجب ردّ الرواية التي تحتوي على ذكر السبب، حتى وإن كان هذا الحديث مشتهراً.

2- سلامة الدراية: ونعني بها ألّا يكن المتن متناقضاً مع قواعد العقل والنقل.

3- السياق: فان للسياق مكان لا يُنكر في الترجيح لقبول السبب أو رده.[3]

فإذا اجتمعت هذه الدعائم تمسّكنا بالرواية التي تذكر السبب، وإذ فُقد شيءٌ منها رُدَّت الرواية، ولعله مما يُلاحظ في هذا المقام أن كثيراً من المفسرين وأهل العلم يعتمدون الضابط الأول من هذه الدعائم (صحة الرواية) في قبول سبب الرواية أو ردّه.

---

[1] أسباب نزول القرآن الكريم، علي بن أحمد الواحدي، ص246.

[2] إتقان البرهان في علوم القرآن، فضل حسن عباس، 315/1.

[3] ينظر: المصدر نفسه 316/1.

ثانياً: أمثلة عن أسباب نزول توفرت فيها الدعائم المذكورة:

ذكر الشيخ فضل عباس بعض الأمثلة عن أسباب نزول توفرت فيها الدعائم التي اشترطها، وسأورد بعضها فيما يلي:

- في قوله تعالى: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ٢٠٧﴾ [البقرة: 207]: قال سعيد بن المسيب: أقبل صهيب مهاجرا نحو رسول الله ﷺ فاتبعه نفر من قريش من المشركين، فنزل عن راحلته ونثر ما في كنانته وأخذ قوسه، ثم قال: يا معشر قريش لقد علمتم أني من أرماكم رجلا، وايم الله لا تصلون إلي حتى أرمي بما في كنانتي، ثم أضرب بسيفي ما بقي في يدي منه شيء، ثم افعلوا ما شئتم قالوا: دلنا على بيتك ومالك بمكة ونخلي عنك، وعاهدوه إن دلهم أن يدعوه ففعل. فلما قدم على النبي ﷺ قال: «أبا يحيى ربح البيع ربح البيع» وأنزل الله: ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشۡرِي نَفۡسَهُ ٱبۡتِغَآءَ مَرۡضَاتِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ رَءُوفُۢ بِٱلۡعِبَادِ ٢٠٧﴾.[1]
- في قوله تعالى: ﴿وَقَالَت طَّآئِفَةٞ مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ ءَامِنُواْ بِٱلَّذِيٓ أُنزِلَ عَلَى ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَجۡهَ ٱلنَّهَارِ وَٱكۡفُرُوٓاْ ءَاخِرَهُۥ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٧٢﴾ [آل عمران: 72]: قال الحسن والسدي: تواطأ اثنا عشر حبراً من يهود خيبر وقرى عرينة، وقال بعضهم لبعض: ادخلوا في دين محمد أول النهار باللسان دون الاعتقاد، واكفروا به في آخر النهار وقولوا: إنا نظرنا في كتبنا وشاورنا علماءنا فوجدنا محمداً ليس بذلك وظهر لنا كذبه وبطلان دينه، فإذا فعلتم ذلك شك أصحابه في دينهم، وقالوا: إنهم أهل كتاب وهم أعلم به منا، فيرجعون عن دينهم إلى دينكم، فأنزل الله تعالى هذه الآية، وأخبر به نبيه محمداً ﷺ والمؤمنين.[2]

فهذه أمثلة عن الأحاديث التي تتضمن ذكر أسباب النزول وقد توفرت لها دعائم القبول التي اشترطها الشيخ فضل عباس من صحة السند وموافقة السياق وحسن الدراية.

---

[1] أسباب نزول القرآن الكريم، علي بن أحمد الواحدي، ص66، ورواه الحاكم في المستدرك، كتاب معرفة الصحابة رضي الله عنهم، باب ذكر مناقب صهيب بن سنان مولى رسول الله ﷺ، 176/13، رقم (5729)، وقال الحاكم: "هذا حديث صحيح الإسناد ولم يخرّجاه"، وينظر: فضل حسن عباس، إتقان البرهان في علوم القرآن، 317/1.

[2] أسباب نزول القرآن الكريم، علي بن أحمد الواحدي، ص109، وهو حديث صحيح وينظر: إتقان البرهان في علوم القرآن، فضل حسن عباس، 318/1،.

ثالثاً: أمثلة عن أسباب نزول لم توفرت فيها الدعائم المذكورة:

ذكر الشيخ فضل عباس مجموعة من الأحاديث التي تضمنت ذكر أسباب النزول لكن لم تتوفر فيها الدعائم التي اشترطها، ومنها الأمثلة الآتية:

- قوله تعالى: ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ زَهْرَةَ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ ۚ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰ ﴿١٣١﴾﴾[طه: 131]: عن أبي رافع، قال: أضاف رسول الله ﷺ ضيفاً، فلم يلق عند النبي ﷺ ما يصلحه، فأرسل إلى رجل من اليهود، يقول لك محمد ﷺ: أسلفني دقيقاً إلى هلال رجب، قال: لا إلا برِهَن، فأتيت رسول الله ﷺ، فأخبرته، فقال: أم والله، إني لأمين في السماء أمين في الأرض، ولو أسلفني أو باعني لأديت إليه، فلما خرجت من عنده نزلت هذه الآية : ﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَىٰ مَا مَتَّعْنَا بِهِۦٓ أَزْوَٰجًا مِّنْهُمْ﴾[طه: 131] إلى آخر ، لأنه يعزيه عن الدنيا.[1]

فهذه الرواية التي ذُكر فيها سبب النزول مردودة؛ وسبب ذلك الحكم عليها بالضعف مِن قبل بعض أهل العلم، كما أن الآية مكية، والحادثة هذه حصلت في آخر حياة النبي ﷺ.[2]

قال صاحب تفسير الوجيز: "وهذا معترض أن يكون سبباً لأن السورة مكية والقصة المذكورة مدنية في آخر عمر النبي ﷺ، لأنه مات ودرعه مرهونة بهذه القصة التي ذكرت، وإنما الظاهر أن الآية متناسقة مع ما قبلها وذلك أن الله تعالى وبخهم على ترك الاعتبار بالأمم السالفة ثم توعدهم بالعذاب المؤجل ثم أمر نبيه بالاحتقار لشأنهم والصبر على أقوالهم والإعراض عن أموالهم وما في أيديهم من الدنيا إذ ذاك منحصر عندهم صائر بهم إلى خزي".[3]

- في قوله تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّآ أَنزَلْنَا عَلَيْكَ ٱلْكِتَٰبَ يُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَرَحْمَةً وَذِكْرَىٰ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥١﴾﴾ [العنكبوت: 51]: قال صاحب روح المعاني في تفسيره "أخرج الفريابي والدارمي وأبو داود في مراسيله وابن جرير وابن المنذر وابن أبي حاتم عن يحيى بن جعدة قال: "جاء ناس من

---

[1] رواه الطبراني في المعجم الكبير، 426/1، وضعّفه الهيثمي في مجمع الزوائد، 126/4.

[2] ينظر: إتقان البرهان في علوم القرآن، فضل حسن عباس، 327/1.

[3] المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز، عبد الحق بن غالب ابن عطية، دار الكتب العلمية، بيروت، ط، 2001م، 464/4. وينظر قراءة الامام الزهري في تفسير ابن عطية سورة البقرة جمع ودراسة, موسى سياح , مجلة كلية العلوم الاسلامية جامعة تكريت, المجلد14 رقم 9 ,2023م /109.

المسلمين بكتف قد كتبوا فيها بعض ما سمعوه من اليهود فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: كفى بقوم حمقاً أو ضلالة أن يرغبوا عما جاء به نبيهم إليهم إلى ما جاء به غيره إلى غيرهم فنزلت".[1]

قال الشيخ فضل عباس: "ونحن ندافع عن الصحابة بحسن الظن فيهم ، ونجلّهم عن مثل هذه الأخبار المنكرة، ثم إن مثل هذا مخالف لسياق الكريمة؛ فالآية التي قبلها: ﴿وَقَالُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ ءَايَٰتٌ مِّن رَّبِّهِۦ ۖ قُلْ إِنَّمَا ٱلْءَايَٰتُ عِندَ ٱللَّهِ وَإِنَّمَآ أَنَا۠ نَذِيرٌ مُّبِينٌ ﴿٥٠﴾﴾ [العنكبوت: 50]، وهذا حديث ورد عن أهل مكة المكرمة، والسبب المذكور يقتضي أن يكون الأمر حدث ذلك في المدينة المنورة[2]، ولقد أحسن الشهاب الآلوسي إذ قال: " بأن السياق والسباق مع الكفرة .... وفي جعل سبب النزول ما ذُكر خروج عن ذلك فتأمّل".[3]

فردّ الشيخ فضل عباس قبول هذا الحديث المتضمن سبب النزول وذلك لمخالفته للسياق العام للآية التي تحدّثت عن مشركي قريش، الأمر الذي يقتضي أن تكون الآية مكيّة، في حين أن الحديث المذكور يؤكد أنها مدنية.

- في قوله تعالى: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾﴾ [فصلت: 22]، أخرج البخاري عن ابن مسعود قال: " كان رجلان من قريش وختن لهما من ثقيف، أو رجلان من ثقيف وختن لهما من قريش في بيت، فقال بعضهم لبعض: أترون أن الله يسمع حديثنا؟ قال: بعضهم يسمع بعضه، وقال بعضهم: لئن كان يسمع بعضه لقد يسمع كله، فأنزلت: ﴿وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ﴾.[4]

يرى الشيخ فضل عباس أنه مع يقيننا بصحة رواية البخاري لكننا لا نستطيع قبول أن تكون هذه الرواية سبباً لنزول الآية؛ ذلك لأن سياق الآية مع ما قبلها كان حديثاً عن الآخرة، قال تعالى: ﴿وَنَجَّيْنَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَكَانُوا۟ يَتَّقُونَ ﴿١٨﴾ وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ﴿١٩﴾ حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيْهِمْ سَمْعُهُمْ وَأَبْصَٰرُهُمْ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿٢٠﴾ وَقَالُوا۟ لِجُلُودِهِمْ لِمَ شَهِدتُّمْ عَلَيْنَا ۖ قَالُوٓا۟ أَنطَقَنَا ٱللَّهُ ٱلَّذِىٓ أَنطَقَ كُلَّ شَىْءٍ وَهُوَ خَلَقَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٢١﴾ وَمَا كُنتُمْ تَسْتَتِرُونَ أَن يَشْهَدَ عَلَيْكُمْ سَمْعُكُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُكُمْ وَلَا جُلُودُكُمْ وَلَٰكِن

---

[1] روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، محمود الآلوسي، دار إحياء التراث، بيروت، ط2، د/ت، 299/15.

[2] ينظر: إتقان البرهان في علوم القرآن، فضل حسن عباس، 328/1.

[3] روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني، محمود الآلوسي، 299/15.

[4] أخرجه البخاري، كتاب تفسير القرآن الكريم، باب قوله: {وما كنتم تستترون أن يشهد عليكم سمعكم ولا أبصاركم ولا جلودكم، ولكن ظننتم أن الله لا يعلم كثيرا مما تعملون}، 128/6، رقم (4816).

ظَنَنتُمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَا يَعْلَمُ كَثِيرًا مِّمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٢٢﴾ وَذَٰلِكُمْ ظَنُّكُمُ ٱلَّذِى ظَنَنتُم بِرَبِّكُمْ أَرْدَىٰكُمْ فَأَصْبَحْتُم مِّنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٢٣﴾ ﴾ [فصلت: 18-23].

والسياق متصلٌ بالنظم اتصالاً تاماً، والآية الكريمة سياقاً وسباقاً مع ما بعدها وما قبلها، فان سياق الآية وسباقها هذا وما قبلها وما بعدها ايضا حديث عن يوم القيامة، فكيف يُقطع السياق وتُفَكَّكُ أجزاؤه؟[1]

لذا ردّ الشيخ اعتبار هذا الحديث دالّاً على سبب النزول مستدلاً على ذلك بالسياق الذي وردت فيه الآية، والله أعلم.

المبحث الثاني:

المكي والمدني:

حاز هذا المبحث ضمن علوم القرآن مكانةً مهمة؛ وذلك نظراً لما ينطوي عليه من تصنيف الآيات الكريمة ضمن فئتين تتميز كلٌ منهما عن الأخرى بخصائص ومميزات معينة، وكذلك نظراً لما دار حول كثيرٍ من الآيات من خلاف في تصنيفها ضمن فئتها الخاصة، وأخيراً لما دار حول هذا المبحث من شبهات وافدة من الفكر الاستشراقي حول تصنيف الآيات التي اتخذها بعضهم مدخلاً للطعن في القرآن الكريم.

ولقد كان للشيخ فضل عباس وقفات في مسائل عدّة في هذا المبحث، إنْ في إيضاح بعض محاوره، أو بترجيح بعض الآراء على بعض، أو بالرد على الشبهات المثارة حول بعض قضاياه، وسنعرض بعض ذلك فيما يأتي.

المطلب الأول: مفهوم المكي والمدني وطرق معرفتهما:

أولاً: مفهوم المكي والمدني:

تعددت الرؤى عند علماء التفسير في تعيين المكي والمدني في آيات القرآن الكريم، وأفرزت هذه الرؤى أفكاراً متغايرةً فيما بينها، وخلاصة الأمر أن الاتجاهات في تعيين المكي والمدني جاءت متنوعة إما بحسب المخاطبين أو حسب المكان أو حسب الزمان، فمكي القرآن حسب الاتجاه الأول هو ما كان الخطاب فيه لأهل مكة، والمدني ما كان الخطاب فيه لأهل المدينة، وبحسب الاتجاه الثاني فإن المكي هو ما نزل بمكة والمدني هو ما نزل بالمدينة، وأما بحسب الاتجاه الثالث فالمكي ما نزل قبل الهجرة والمدني ما نزل بعد الهجرة.

[1] ينظر: إتقان البرهان في علوم القرآن، فضل حسن عباس، 1/329-330.

ولقد عرض الشيخ فضل عباس هذه الآراء لكن كانت له وقفة ترجيحية بينهما بعد موازنة هذه الأقوال، فقد رأى الشيخ أن كلاً من الرأيين الأول والثاني يترتب عليهما مآخذ معينة.

أما تصنيف القرآن حسب المخاطبين فهو برأيه غير مطرد دائما ولا منضبط، لأن كثيراً من الآيات بل بعض سوره أيضاً ليس فيها ذلك الخطاب لأهل مكة ولا لأهل المدينة، بل هناك سور جاءت خطاباً لرسول الله ﷺ، فسورة الشمس مثلاً ليس فيها ذلك الخطاب لأحد، وكلٌ من الضحى والشرح والكوثر كان خطاب لرسول الله ﷺ، كما أن هناك سوراً من القرآن الكريم اشتملت على خطاب الناس جميعاً بصيغة (يا أيها الناس) مع أنها مدنية باتفاق، كآيات عديدة في سورتي البقرة والنساء، وبناءً على ذلك تضعف هذه القاعدة، ولا يكون هذا الاتجاه حرياً بالقبول.[1]

أما الاتجاه الثاني الذي يصنف المكي والمدني حسب المكان الذي نزلت فيه الآية فهو برأي الشيخ فضل عباس ليس منضبطاً ولا منحصراً؛ لأن كثيراً من آيات القرآن الكريم لم يكن نزولها لا في مكة ولا في المدينة، فمثلاً سورة (التوبة) نزل كثراً منها في تبوك، وسورة الفتح نزلت في منصرفه ﷺ من الحديبية، وكثيرٌ من الآيات نزلت في أماكن الغزوات التي قادها رسول الله ﷺ، لذا لا يصحّ اعتماد هذا الرأي أيضاً في التصنيف.[2]

أما القول الثالث فهو برأي الشيخ فضل عباس خالٍ عن كل الاعتراضات السابقة، فالقسمة فيه ثنائية وواضحة، فالمكي فيه ما نزل قبل الهجرة أياً كان المكان الذي نزل فيه، والمدني ما نزل بعد الهجرة وإن كان قد نزل في مكة، وبناءً على ذلك عدّ العلماء قوله تعالى ﴿ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ﴾ [المائدة: 3] مدنية رغم الاتفاق على أنها نزلت بمكة المكرمة، لذا فالتقسيم في هذا الاتجاه منضبط ومنحصر، وعليه فهو المختار عند الشيخ فضل عباس.[3]

ثانياً: طرق معرفة المكي والمدني:

يرى الشيخ فضل عباس أن لمعرفة المكي والمدني طريقين اثنين:

الأول: سماعي: وعمدته النقل والرواية، وذلك كأن ترد رواية توضح مكان نزول الآية إنْ في مكة أو في المدينة، أو توضح نزول الآية قبل الهجرة أو بعدها، وأمثلة ذلك كثيرٌ في الروايات.

---

[1] ينظر: إتقان البرهان في علوم القرآن، فضل حسن عباس، 1/367-368.

[2] ينظر: المصدر نفسه، 1/368-369.

[3] ينظر: المصدر نفسه، 1/369.

ومن هذا الباب أيضاً أن تتحدث السورة عن أمر عُرِفَ زمانه، وذلك كسورة الأنفال التي تتحدث عن غزوة بدر، وسورة الإسراء التي تتحدث عن حادثة الإسراء، وكذا سورة القمر التي تذكر انشقاق القمر، ومعلومٌ زمن كل حادثة من هذه الأحداث.

الثاني: قياسي: وعمدته مجموعة من الضوابط والخصائص التي تميّز بها كلٌ من المكي والمدني من الآخر، فبمعرفة هذه الضوابط واتخاذها مقاييس يمكن التمييز بين المكي والمدني من الآيات.[1]

المطلب الثاني: ضوابط المكي والمدني:

أشرت في نهاية المطلب السابق أن ثمّة طريق قياسي لمعرفة المكي والمدني، وهذا الطريق إنما يتم بمجموعة من الضوابط العامة، منها ما يخص المكي ومنها ما يخص المدني، ولقد كان للشيخ فضل عباس وقفات مع بعض هذه الضوابط نبيّنها فيما يأتي.

ولقد بدأ الشيخ فضل عباس حديثه عن الضوابط بالتنبيه إلى أن هذه الضوابط ليست عامة، بمعنى أنها ليست في جميع السور المكية أو المدنية، لذا نستطيع أن نَعُدَّها ضوابط تقريبية حسب رأي الشيخ، أما أن نعدّها مطردة فهذا ما لا يوافق عليه الشيخ حسب مفهوم كلامه

أولاً: ضوابط المكي:

- ذكر العلماء أن وجود كلمة (كلّا) يدل على أن السورة مكية، لكن الشيخ ذكر أن هذه الكلمة قد ذُكرت ثلاثاً وثلاثين مرة في خمس عشرة من السورة كلّها مكية، إلا أنها لم تُذكر في جميع السور المكية؛ لأن عدد السور المكية كانت أكثر من هذا العدد.[2]
- كل سورة فيها سجدة فهي من السور المكية، ويرى الشيخ أن هذا الضابط والذي قبله مطردان، وذلك على معنى أن السور المدنية ليس فيها (كلّا)، وليس فيها ايضا سجدة.
- كل سورة قصت فيها قصة من قصص الأنبياء من حيث دعوتهم لأقوامهم الى عبادة الله والابتعاد عن القبائح فهي من السور المكية، واستثنى العلماء من ذلك سورة البقرة.

ويرى الشيخ فضل أنه لا ضرورة بهذا الاستثناء؛ لأنه ما وُجِدَ في سورة البقرة من ذكر إبراهيم وموسى عليهما السلام ليس من حيثية الدعوة لأقوامهم إلى عبادة الله وحده ونبذ عبادة الأصنام، فالحديث عن نبي الله موسى كان عمّا جرى بينه وبين بني إسرائيل في قضايا خاصة، والحديث عن نبي الله إبراهيم إنما كان عن قضية بناء الكعبة، لذا فهذه الأحاديث لا تندرج ضمن هذا الضابط حتى يلجأ العلماء إلى استثنائها.[3]

---

[1] ينظر: إتقان البرهان في علوم القرآن، فضل حسن عباس، 371/1.

[2] ينظر: المصدر نفسه، 372/1.

[3] ينظر: إتقان البرهان في علوم القرآن، فضل حسن عباس، 372/1.

ويرى الشيخ فضل أننا إذا أعملنا الاستثناء في سورة البقرة وجب علينا أن نستثني سوراً أخرى أيضاً، فسورة آل عمران تحتوي على قصة امرأة عمران ونبي الله زكريا، وفي سورة المائدة نبأ من قصة نبي الله موسى عليه السلام.

- كل سورة تبتدئ بالحروف المقطعة فهي مكية إلا البقرة وآل عمران.
- كل سورة ذُكرت فيها قصة آدم عليه السلام فهي مكية إلا البقرة.
- كل سورة انفردت بـ (يا أيها الناس) دون نداء المؤمنين فهي مكية، وذلك كسورة يونس والأعراف، أما إذا اجتمع فيها النداءان فهي مدنية، وذلك كسورة البقرة والنساء، فقد اشتملتا على صيغتي النداء.

ويُعقّب الشيخ على هذا الضابط بأن هذا الكلام يوضح خطأ المقولة التي شاعت عند كثير من الناس وهي أن كل ما في القرآن ذُكر فيها (يا أيها الناس) فهو مكي، فقد وجد الباحثون أن كثيراً من تلك الآيات مدنية، أما (يا أيها الذين آمنوا) فكلّها مدنية باتفاق، ولعل سبب ذلك أن (يا أيها الناس) تصلح لأن يُخاطب بها المجتمع المكي والمدني لأن هذا النداء للناس بصرف النظر عن المكان الذي هم فيه، أما (يا أيها الذين آمنوا) فلا تصلح إلا أن يُخاطب بها المجتمع المدني؛ لأن المؤمنين في مكة المكرمة لم يكن لديهم مجتمع خاص بهم.[1]

ثانياً ضوابط المدني:

- كل من السورة التي ذُكرت فيها الحدود والفرائض فهي من السور المدنية، ومثال ذلك سورتي النساء التي ذُكرت فيها الفرائض وسورة النور التي ذُكرت فيها الحدود، وكذا سورة المائدة، كلها مدنية باتفاق.[2]
- كل (آية) أمرت المسلمين بالجهاد والقتال فهي مكية، ولقد نبّه الشيخ في هذا الضابط على عدم دقة أن نقول (كل سورة ذُكر فيها الجهاد)؛ لأن هناك فرق بين ذكر الجهاد في السورة وبين أمر المسلمين به، فمثلاً قوله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾ [العنكبوت: 69] هي مكية، وليست مدنية؛ لأن الجهاد ذُكر فيها ذكراً وليس على سبيل الأمر.[3]

---

[1] ينظر: المصدر نفسه ، 373/1.

[2] ينظر: المصدر نفسه ، 374/1.

[3] ينظر: إتقان البرهان في علوم القرآن، فضل حسن عباس، 374/1.

- كل سورة ذُكر فيها المنافقون فهي سورة مدنية، واستثنى العلماء من ذلك سورة (العنكبوت)، لكن الشيخ فضل عباس رجّح أن الآيات التي جاء فيها ذكر المنافقون ضمن سورة العنكبوت هي من الآيات المدنية وليست المكية؛ وذلك لأن مصطلح (المنافقون) لم يظهر إلا في المدينة المنورة.[1]

المطلب الثالث: الأقوال في تعيين المكي والمدني من سور القرآن الكريم:

أولاً: الاختلاف في المكي والمدني:

يرى الشيخ فضل عباس أن مسألة المكي والمدني حريّة بالعناية القصوى من المتخصصين، وجديرة بأن تنقى من كثيرٍ من الشوائب، فقد ذكر أهل العلم أنواعاً عديده تتصل بالموضوع، فذكروا آياتٍ مكية لها حكم المدني، و آيات مدنيّة لها حكم المكي، وآيات مكية في السور المدنية، و آيات مدنية في السور المكية.

ولقد ذكر السيوطي في معرض حديثه عن تلك الآيات المكية في سور مدنية أن الحافظ ابن حجر يذهب الى أنه لا مانع من وجود تلك الآيات المدنية في السور المكية، أما العكس من وجود آيات مكية في السور المدنية فنادر، وكأنَّ السيوطي يلمز او لا يسلم للحافظ قوله[2]، بل يرى الشيخ فضل عبّاس أن الناظر في (الإتقان) لا يجد أي سورة من السور القرآنيه الكريمه إلا و قد ذكر اختلاف العلماء لها في مكيتها ومدنيتها، وكثير من الروايات التي ساقها لا تقوى أمام التحقيق العلمي.[3]

يوافق الشيخ فضل عباس الإمامَ ابن حجر في قوله "إن الآيات المكية في السور المدنية أمر نادر"، بل يرى الشيخ أن هذا الأمر لا وجود له، إذ لا يُعقل أن تنزل اية في مكة ، وأن تضل سنين لا مكان لها إلى أن تنزل سورة مدنية ثم توضع فيها تلك السورة.[4]

ولقد نبّه الشيخ فضل عباس على أن ما قد استثناه كثير من العلماء في السور المكية من آيات مدنية هو شي يعلو فيه الغلو في كثيرٍ من الأحيان، او في الغالب منها وقلَّ أَنْ تجد سورة مكية إلا وقد استثني منها بعض الآيات التي قالوا إنها مدنية، وفي الغالب يكون هذا استثناء لأسباب واهية، فإما هي رواية ضعيفة، وإما كلمة وُهِمَ أنها ليست مما ينزل في مكة، وإما حمل بعض الكلمات على تفسير معين.[5]

---

[1] ينظر: المصدر نفسه ، 374/1.

[2] الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، 47/1.وينظر الآيات الشاملة وفقا لابن كثير في تفسيره للقران الكريم. سمير كاظم فرحان , مجلة كلية العلوم الاسلامية جامعة تكريت, المجلد 15رقم 6, 2024, 160.

[3] ينظر: إتقان البرهان في علوم القرآن، فضل حسن عباس، 379/1.

[4] ينظر: المصدر نفسه ، 380/1.

[5] ينظر: إتقان البرهان في علوم القرآن، فضل حسن عباس ، 380/1.

ويذكر الشيخ فضل عباس أمثلة على مفردات استثناها بعض أهل العلم، ولم يوافق الشيخ على هذا الاستثناء، منها:

1- لفظ (الزكاة): فكل آيةٍ ذُكرت فيها الزكاة استثنوها؛ لأن الزكاة إنما فُرضت في المدينة المنورة، وهذا الامر غير متفق عليه ؛ فإن لفظة الزكاة كانت معروفة في مكة، وكانت تعني البذل والعطاء.

2- لفظ (التسبيح): كقوله تعالى: ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾﴾ [الروم: 17]، وقوله ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ ٱلْغُرُوبِ ﴿٣٩﴾﴾ [ق: 39]، والحجة في ذلك أن التسبيح هنا يعني الصلوات الخمس، مع أنَّ التسبيح قد اكتظت به الآيات الكريمات، ولم يقتصر معناه على الصلوات الخمس. فقط.

3- لفظ (أهل الكتاب): ولا يصحّ هذا الاستثناء أيضاً؛ لأن أهل الكتاب معروفون بهذه التسمية قبل أن يهاجر النبي ﷺ.[1]

ثانياً: أمثلة على استثناءات من السور لبعض الآيات لم يوافق الشيخ فضل عباس عليها:

كان للشيخ فضل عباس وقفات على كثيرٍ من الأقوال التي ذكرها أهل العلم في استثناء آيات مكية من سور مدنية، أو استثناء آيات مدنية من سور مكية، ويطول بنا المقام إذا أردنا سرد الآيات المستثناة التي ذكرها الشيخ فضل عباس ولم يوافق رأي مَن استثناها، لذا سأقتصر على بعض الأمثلة التي توضح ذلك.

- سورة البقرة: أجمعوا على انها مدنية، ولكن الامام السيوطي رحمه الله استثنى منها آيتين هما ﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾﴾[البقرة: 109]، وقوله تعالى: ﴿۞ لَّيْسَ عَلَيْكَ هُدَىٰهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَهْدِى مَن يَشَآءُ ۗ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَلِأَنفُسِكُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُونَ إِلَّا ٱبْتِغَآءَ وَجْهِ ٱللَّهِ ۚ وَمَا تُنفِقُوا۟ مِنْ خَيْرٍ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٢٧٢﴾﴾[البقرة: 272]، فذهب الامام إلى انها مكيّتان[2]، لكنه لم يذكر الدليل على ذلك، ويرى الشيخ أن الحق أنهما مدنيّتان.[3]

---

[1] ينظر: المصدر نفسه ، 1/380-381.

[2] الإتقان في علوم القرآن، جلال الدين السيوطي، 1/47.وينظر: المنهج العلمي في دراسة قراءات القران الكريم سعد خميس محروس مجلة كلية العلوم الاسلامية جامعة تكريت, المجلد 15 رقم 3 /2024/ 150.

[3] ينظر: إتقان البرهان في علوم القرآن، فضل حسن عباس، 1/381.

- سورة الأنعام: وهي مكية، و قد استثنى أهل العلم منها بعض الايات قالوا بكونها مدنية، منها قوله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَاتَيۡنَٰهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ يَعۡرِفُونَهُۥ كَمَا يَعۡرِفُونَ أَبۡنَآءَهُمُۘ ٱلَّذِينَ خَسِرُوٓاْ أَنفُسَهُمۡ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٢٠﴾ [الأنعام: 20]، وقوله: ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدۡرِهِۦٓ إِذۡ قَالُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ عَلَىٰ بَشَرٖ مِّن شَيۡءٖۗ﴾ [الأنعام: 91]، وقوله: ﴿وَمَنۡ أَظۡلَمُ مِمَّنِ ٱفۡتَرَىٰ عَلَى ٱللَّهِ كَذِبًا أَوۡ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمۡ يُوحَ إِلَيۡهِ شَيۡءٞ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثۡلَ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُۗ﴾ [الأنعام: 93] وقوله: ﴿۞ وَلَوۡ أَنَّنَا نَزَّلۡنَآ إِلَيۡهِمُ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةَ وَكَلَّمَهُمُ ٱلۡمَوۡتَىٰ وَحَشَرۡنَا عَلَيۡهِمۡ كُلَّ شَيۡءٖ قُبُلٗا مَّا كَانُواْ لِيُؤۡمِنُوٓاْ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ﴾ [الأنعام: 111]، وقوله ﴿۞ قُلۡ تَعَالَوۡاْ أَتۡلُ مَا حَرَّمَ رَبُّكُمۡ عَلَيۡكُمۡۖ﴾ [الأنعام: 151]، ويرى الشيخ فضل عباس أن الحق في ذلك أن هذه الآيات كلها مكية، ليس منها مدني البتة؛ لأن السياق والأسلوب والموضوع كل ذلك يدل على مكيتها.[1]
- سورة إبراهيم: وهي مكية، لكن استثنوا منها ثلاث آيات هي ﴿۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ بَدَّلُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ كُفۡرٗا وَأَحَلُّواْ قَوۡمَهُمۡ دَارَ ٱلۡبَوَارِ ٢٨ جَهَنَّمَ يَصۡلَوۡنَهَاۖ وَبِئۡسَ ٱلۡقَرَارُ ٢٩ وَجَعَلُواْ لِلَّهِ أَندَادٗا لِّيُضِلُّواْ عَن سَبِيلِهِۦۗ قُلۡ تَمَتَّعُواْ فَإِنَّ مَصِيرَكُمۡ إِلَى ٱلنَّارِ ٣٠﴾ [إبراهيم: 28-30]، مع أنها حديث عن أهل مكة.[2]

من النماذج السابقة يتبين أن الشيخ فضل عبّاس رحمه الله أعمل الاجتهاد والقياس في تصنيف كثيرٍ من الآيات، وإن جاءت النتيجة معه مختلفةً عمّا وصل إليه السابقون في تصنيف بعض الآيات أو استثناءها، وكان ذلك منه اعتماداً على السياق القرآني للآيات بالدرجة الأولى، مع مراعاة اللغة واستخدام العرب للألفاظ والمعاني.

الخاتمة

وبعد هذه الرحلة الماتعة في ثنايا كتاب الشيخ فضل عباس (إتقان البرهان في علوم القرآن) ضمن محوري (أسباب النزول والمكي والمدني) نستطيع أن نستخلص النتائج التالية:

1. يرى الشيخ أن أسباب النزول أهم مباحث علوم القرآن على الإطلاق؛ لما حُفَّ به من الشوائب والشبهات التي حاول كثير من خصوم الإسلام أن يصوّبوا منها إلى نحر الشريعة سموم سهامهم.
2. شكلت النقاط التالية: عدم دراسة الأسانيد، وعدم دراستها نقدياً، وإهمال السياق، والمبالغة في البحث عن أسباب نزول، أهم المداخل التي حاول الطاعنون النفوذ منها إلى ما يريدون.
3. رجّح الشيخ أن أسباب النزول لم تكن موجودة بهذا التعبير في عهد الصحابة الكرام.

---

[1] ينظر: المصدر نفسه ، 382/1.

[2] ينظر: المصدر نفسه ، 385/1.

4. روايات أسباب النزول احتفت بالآيات المدنية أكثر من المكية.
5. يرى الشيخ أن كثيراً من روايات أسباب النزول يجب رفضها وإن كانت مشتهرة.
6. وافق الشيخ الجمهور في حصر طرق معرفة أسباب النزول في الرواية.
7. يرى الشيخ أنَّ كثيراً مما عدّه العلماء أسباباً للنزول لا يصحّ أن يكون كذلك، إنما هو من قبيل التفسير.
8. توصّل الشيخ إلى استنتاج ضوابط علمية هي بمثابة دعائم لقبول الرواية التي تنص على سبب النزول وهي: الرواية الصحيحة وسلامة الدراية والسياق.
9. رجّح الشيخ في تصنيف المكي والمدني الرأي القائل بأن المكي ما نزل قبل الهجرة والمدني ما نزل بعد الهجرة.
10. يرى الشيخ أن الضوابط التي وضعها العلماء في معرفة المكي والمدني ليست في جميع السور المكية أو المدنية، وهي بذلك ليست عامة.
11. لم يوافق الشيخ على المقولة التي شاعت عند كثير من الناس وهي أن كل آية ذُكر فيها (يا أيها الناس) فهي مكية.
12. خالف الشيخ العلماء في كثيرٍ من الآيات التي استثنوها وغيّروا لها تصنيفها، فلم يوافقهم وأبقاها على تصنيفها الكلي مستدلاً بالسياق في الغالب

المصادر و المراجع

القران الكريم

1. أسباب نزول القرآن الكريم علي بن أحمد الواحدي، ، دار الإصلاح بالدمام، ط2، 1992م.
2. الإتقان في علوم القرآن جلال الدين السيوطي، ، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشريف، ط1، 1426هـ.
3. إتقان البرهان في علوم القرآن فضل حسن عباس، ، دار النفائس، عمّان، ط2، 2012م
4. الأعلام ،لخير الدين بن محمود ، الزركلي الدمشقي الناشر: دار العلم للملايين ط5 مايو 2002 م 283/6.
5. الآيات الشاملة وفقا لابن كثير في تفسيره للقران الكريم. سمير كاظم فرحان , مجلة كلية العلوم الاسلامية جامعة تكريت, المجلد 15رقم 6, 2024م.
6. تفسير القرآن الحكيم (تفسير المنار) محمد رشيد رضا، ، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، 1990م.
7. دراسات إسلامية وعربية مهداة للعلامة الدكتور فضل حسن عباس جمال أبو حسان، ، دار الرازي، عمّان، ط1، 2003م.

8. روح المعاني في تفسير القرآن الكريم والسبع المثاني محمود الآلوسي، ، دار إحياء التراث، بيروت، ط2، د/ت.
9. علوم القرآن عبد الفتاح أبو سنة، ، دار الشروق، ط1، 1995م.
10. قراءة الامام الزهري في تفسير ابن عطية سورة البقرة جمع ودراسة, موسى سياح , مجلة كلية العلوم الاسلامية جامعة تكريت, المجلد14 رقم 9 ,2023م.
11. لآلئ مضيئة من حياة العلامة فضل حسن عباس محمد بن يوسف الجوراني العسقلاني، ، جمعية المحافظة على القرآن الكريم، عمّان، ط1، 2013م.
12. المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز عبد الحق بن غالب ابن عطية، ، دار الكتب العلمية، بيروت، ط، 2001م.
13. مناهل العرفان في علوم القرآن محمد عبد العظيم الزرقاني، ، مطبعة عيسى البابي الحلبي، ط3، د/ت.
14. المنهج العلمي في دراسة قراءات القران الكريم سعد خميس محروس مجلة كلية العلوم الاسلامية جامعة تكريت, المجلد 15 رقم 3 /2024.
15. معجم البلدان ياقوت بن عبد الله الحموي، ، دار إحياء التراث العربي، مؤسسة التاريخ العربي، ط1، 1997م.
16. وترجل الفارس محمد خازر المجالي، مقال ""، مجلة الفرقان، عدد 109.

Sources and References

alquran alkarim

1. The reasons for the revelation of the Holy Qur'an, by Ali bin Ahmed Al-Wahidi, Dar Al-Islah, Dammam, 2nd edition, 1992 AD.
2. Al-Itqan fi Ulum al-Qur'an by Jalal al-Din al-Suyuti, King Fahd Complex for Printing the Holy Qur'an, 1st edition, 1426 AH..
3. Mastering the Proof in the Sciences of the Qur'an, by Fadl Hassan Abbas, Dar Al-Nafais, Amman, 2nd edition, 2011 AD.
4. Al-A'lam, by Khair Al-Din Ibn Mahmud, Al-Zarkali Al-Dimashqi. Publisher: Dar Al-Ilm Lil-Malayin, 5th edition, May 2002 AD, 6/283.
5. Comprehensive verses according to Ibn Kathir in his interpretation of the Holy Quran. Samir Kadhim Farhan, Journal of the College of Islamic Sciences, Tikrit University, Volume 15, No. 6, 2024.
6. Interpretation of the Wise Qur'an (Interpretation of Al-Manar) by Muhammad Rashid Rida, Egyptian General Book Authority, 1st edition, 1990 AD.
7. Islamic and Arabic Studies dedicated to the scholar Dr. Fadl Hassan Abbas Jamal Abu Hassan, Dar Al-Razi, Amman, 1st edition, 2003 AD.
8. Ruh al-Ma'ani fi Tafsir al-Qur'an al-Karim wa al-Sab' al-Mathani by Mahmoud Al-Alusi, Dar Ihya' al-Turath, Beirut, 2nd edition, n.d.
9. The Sciences of the Qur'an, by Abd al-Fattah Abu Sunna, Dar al-Shorouk, 1st edition, 1995 AD.
10. Reading of Imam Al-Zuhri in Ibn Atiyya's interpretation of Surah Al-Baqarah, compiled and studied by Musa Sayyah, Journal of the College of Islamic Sciences, Tikrit University, Volume 14, No. 9, 2023.

11. Shining Pearls from the Life of the Scholar Fadl Hassan Abbas Muhammad bin Yusuf Al-Jurani Al-Asqalani, Society for the Preservation of the Holy Qur'an, Amman, 1st Edition, 2013 AD.
12. 12.The Concise Editor in the Interpretation of the Noble Book, by Abd al-Haqq ibn Ghalib ibn Atiyya, Dar al-Kutub al-Ilmiyya, Beirut, 2001.
13. Manahil al-Irfan fi Ulum al-Qur'an by Muhammad Abd al-Azim al-Zarqani, Isa al-Babi al-Halabi Press, 3rd edition, n.d.
14. The scientific approach in studying the readings of the Holy Qur'an, Saad Khamis Mahrous, Journal of the College of Islamic Sciences, Tikrit University, Volume 15, No. 3/2024.
15. Mu'jam al-Buldan by Yaqut ibn Abdullah al-Hamawi, Dar Ihya' al-Turath al-Arabi, Mu'assasat al-Tarikh al-Arabi, 1st edition, 1997 AD.
16. The knight Muhammad Khazer Al-Majali dismounted, article "", Al-Furqan Magazine, Issue 109.